عناصر النهب واللصوصية في مصر في العصر الفاطمي (٣٥٨ – ٥٦٧ هـ / ٩٦٨ - ١١٧١ م)

د. محمد السيد فياض
مدرس بكلية الآداب جامعة طنطا

يأتى التفسير الاجتماعي للتاريخ كأحد أبرز المدارس التي اتجه إليها المؤرخون لتفكيك الحدث التاريخى ودراسته وإعادة بنائه وفق منظور اجتماعي يراعى دور الطبقة في تسيير الأحداث التاريخية والتحكم المباشر – وليس الوحيد – في سيرورتها، ويندرج موضوع الدراسة ضمن هذا السياق.

إن هذه الدراسة تنصب بالاهتمام حول هؤلاء الأفراد الذين تراكموا على الهامش وصاروا ضد المؤسسات القائمة، نظر إليهم المجتمع في كل الأحيان بأنهم الهامشيون والشاذون عن المجتمع فهم رعاع وسوقه وأوباش، رجالاً ونساء بدون عمل محدد ومستبعدون من ساحة المجتمع الفعلية حسبما عبر غوستاف لوبون [i] وفي الحقيقة فقد تعددت وجهات النظر وتباينت تجاه هذه العناصر الشعبية، فحسب أحد الباحثين أنه ينظر إليهم كنتوء شاذ وكبؤرة للسلب والنهب، وبأنهم محترفي البطالة واللهو، وفي أحيان أخرى ينظر إليهم كمرآة عاكسة لمجموعة من الاختلالات المجتمعية والسياسية والاقتصادية والسياسات غير المتوازنة على المستوى الاجتماعي[ii] وهو ما ستناقشه الدراسة على مدار الصفحات القادمة.

مصطلح الدراسة:

إذا أردنا أن نقوم بعملية تفكيك وشرح لمصطلح الدراسة فسنجد أن هناك فيضاً من النعوت السلبية التي تتصدى لوصف هذه الفئات الهامشية، ففي السياق

التاريخي الذي نبحث فيه استخدمت المصادر التاريخية مصطلحات عديدة تختلف في المسمى وتتفق في التوصيف حول هذه العناصر الاجتماعية المهمشة والتى كانت بمثابة صداع مزمن أصاب المجتمع فكانوا أبطالاً لمعظم حوادث السلب والنهب والتخريب، وإذا أردنا أن نسرد هذه المسميات سنجدها متعددة فهم حسب هذه النصوص الغوغاء[iii] واللصوص [iv] والرعاع [v] وصعاليك الناس [vi] والذعار[vii] والمفسدين[viii] أو طوائف المفسدين[ix] أو أرباب الفساد[x] والدهماء[xi] والأشرار وقطاع الطرق[xii] والمارقين[xiii] والفساق[xiv] وأوغاد الأرياف، وأوباش الأطراف[xv] وأوباش الناس ودعارهم[xvi] والسفهاء[xvii] والنهابة[xviii] والسوقة[xix] والجهال[xx].

هذه كانت المسميات التي تشي لنا بجلاء عن بشاعة الصورة التي نقلتها المصادر التاريخية عن هذه الفئات، ورغم تعدد المسميات إلا أنها تعبر عن توصيف ومعنى واحد لهذه العناصر الهامشية الخارجة على قوانين المجتمع نتيجة لظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية مما يعطى مشروعية لاتجاه الدراسة مع رصد وتحليل لأسباب هذه الانحرافات التي قامت بها.

وفي سياق آخر فإنه يعنينا كثيراً البحث في أماكن تجمعات مثل هذه العناصر، فلدينا العديد من الإشارات التي تتحدث عن مواضع متعددة تمركزت فيها هذه الجماعات، كما توجد إشارات عن وجودهم في إحدى حواري القاهرة والتي عرفت بحارة الباطلية xxi فقد أوردت لنا المصادر التاريخية بعض النصوص التي تعكس طبيعة الشريحة السكانية في حارة الباطلية وطبيعة نشاطاتهم مثل ما قيل من أنهم " كانوا يثبون على من جهزوا له كالفداوية ويقتلون بالسكين"[xxii] فضلاً عن بعض الأزقة كزقاق "البواقيل " الذي كان يعرف أيضاً بزقاق " الندافين" حيث شُوهدت هناك أيام الشدة المستنصرية جماعة كانوا إذا مر بهم أحد " ندفوه ونزعوا ما عليه ورموه في البئر "، وأيضاً زقاق " العكامين " الذي عرف بهذا الاسم نظراً لوجود جماعات" يعكمون المارة في أفواههم ثم يحملونهم إلى زقاق القتلى ليقتلونهم فيه "

فسمى بذلك[xxiii] ولدينا إشارات أيضاً إلى موضع آخر يعرف بكوم دينار سكنته جماعات من العوام والذعار كانوا يقومون بعمليات سلب ونهب للأمتعة والغلال xxiv وكذا شارع " القصاصين " الذي كانت فيه " مساكن صغيرة وخرائب اجتمع فيها الغوغاء " حسبما عبرت تلك النصوص[xxv]

وفي الحقيقة فرغم ما ذكرناه من مواضع متفرقة في أنحاء القاهرة وظاهرها الريفي إلا أن مصر بأكملها كانت موطناً لمثل هذه العناصر إبان الأزمات الاقتصادية والاجتماعية العاصفة التي مرت بها مصر في العصر الفاطمي.

وفي محاولة منا في محاولة لرسم صورة لهذه العناصر فعلينا أيضاً أن نرصد نوعية تسليحها، فلقد حملوا بعض الأسلحة البسيطة التي ساعدت على نشر حالة الفوضى في المجتمع، ولدينا بعض الإشارات المتناثرة في طيات النصوص التاريخية التي ترسم صورة تسليح هذه العناصر، فتحدثنا المصادر عن حملهم السيوف والسكاكين[xxvi] والأوتاد الحديدية[xxvii] وحبال بها كلاليب إذا مر بهم أحداً من الناس ألقوا عليه تلك الحبال ونشلوه بالكلاليب[xxviii] وسلب وخطاطيف بتعبير آخر[xxix] وتحدثت نصوص أخرى عن استخدامهم الحبال والشوم، فضلاً عن الطبول والبوق كمؤثرات صوتية مصاحبة لإضفاء حالة من الرهبة على تحركاتهم[xxx]

أثر العوامل الاقتصادية على ظهور عناصر النهب واللصوصية في مصر في العصر الفاطمي:

مثلت بعض الظروف التي مر بها المجتمع المصري في العصر الفاطمي بيئة حاضنة لظهور مثل هذه العناصر وبطبيعة الحال تأتى الظروف الاقتصادية على رأس هذه العوامل، وفي الحقيقة فقد استخدمت النصوص التاريخية – المتاحة – دائماً حرف العطف للربط بين الأزمات الاقتصادية وظهور هذه العناصر التى عاثت في الطرقات فساداً مثل ما حدث سنة (٣٨٧ هـ/٩٩٧م) إبان الغلاء الذي

وقع أيام الحاكم بأمر الله (٣٨٦ هـ-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) وكان سببه قصور النيل الأمر الذي أثر على السعر وندرة الموارد الغذائية مما أدى إلى تفاقم الأزمات وانتشار هذه العناصر في الطرقات حتى أن المقريزي قد عبر عن ذلك قائلاً " فعظم الأمر "[xxxi]

كما نقلت لنا نصوص أخرى دلالات هامة عن دور العامل الاقتصادي كأحد الدوافع الأساسية لنشاط هذه العناصر، فهذا النص الذي يحكى أن أحد اللصوص قد سرق قنديل من جامع عمرو بن العاص إبان حكم الخليفة " الحاكم بأمر الله " وقد رفع القاضي الأمر للخليفة وكانت علة الرجل آنذاك في الدفاع عن نفسه " أنه فقير ولديه بنات جياع والإنفاق عليهن أفضل من تعليق هذا في الجامع..."[xxxii] الأمر الذي يعكس حالة العوز والاحتياج التي دفعته إلى السرقة لكسب ما يعينة على إعالة بناته، ما يؤكد على سوء الأحوال الاقتصادية التي صاحبها انتشار البطالة بين العامة مما زاد أحوالهم فقرا وسوءً.

ومهما يكن من أمر فلم تبخل علينا المصادر في هذا الاتجاه رابطة بين الأزمات الاقتصادية والاضطرابات وظهور هذه العناصر، ففي أحداث سنة (٤١٤هـ/١٠٢٣م) في زمن الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) تذكر إحدى النصوص أن السعر قد ترافع واشتد ثم يعطف حديثه قائلاً " وفيه طاف العامة والسوقة الأسواق بمصر بالحبال والشومة والطبول والبوقات يجمعون من التجار وأرباب الأسواق ما ينفقونه... " xxxiii في حديث واضح الدلالة على حضور العامل الاقتصادي في نشاطات هذه العناصر، ويعود المقريزي ليؤكد هذا الاتجاه في أحداث نفس العام (٤١٤ هـ/١٠٢٣م) حيث اشتد الغلاء بمصر وكثر نقص النيل، ويصور لنا مدى ما آل اليه الحال من بشاعة حيث كثر الخوف في ظواهر البلد وكثر اضطراب الناس وتفاقم الأمر وصاح الناس بالخليفة الظاهر " الجوع الجوع يا أمير المؤمنين لم يصنع هذا بنا أبوك ولا جدك،

وأصبح الناس بمصر على أقبح حال من الأمراض والموتات وشدة الغلاء وعزت الأقوات وكثر الخوف من الذعار التى تكبس، حتى أنه لما عُمل سماط بالقصر كبس العبيد على السماط وهم يصيحون الجوع ونهبوا سائر ما كان عليه، ونُهبت الأرياف وكثر طمع العبيد ونهبهم وجرت أمور أخرى قبيحة، وندب جماعة لحفظ البلد واستعد الناس، فكانت نهبات بالساحل وخندق الناس خنادق على الأزقة والشوارع..."[xxxiv]

وفي الحقيقة فإن النص السابق يبرز لنا بجلاء مدى قتامة الصورة التي كانت نتيجة للظروف الاقتصادية وهو يعزز ما ذهبنا اليه سابقاً فأحداث النهب والسلب أدت إلى أن يخندق السكان الخنادق في الشوارع والأزقة وقاية من هذه الغارات التي مارستها عناصر السلب والنهب، واستمرت هذه الإشكالية للعام التالي، ففي عام (٤١٥هـ/١٠٢٤م) تعذر وجود الخبز، حتى أن ثمة تضخم اقتصادي قد ضرب المجتمع فارتفع سعر الخبز ولم يقدر عليه أحد ويبدو أن ذلك قد أصاب المجتمع بحالة من الترقب والقلق عبر عنه هذا النص قائلاً " وبات الناس على حرس وأصبحوا يترقبون المكروه " ثم استخدم حرف العطف قائلاً " فطاف النهابة أسواق القاهرة والسويقة التى عند باب زويلة..."[xxxv]

ومن الملاحظ هنا أن التأريخ لمثل هذه الحوادث صار يربط بشكل دائم بين هذه الأزمات وبين ممارسات تلك العناصر، على أية حال تعود المصادر لتخبرنا بما حدث سنة (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) وبأن ذلك العام كان عاماً حل فيه الوباء والقحط حتى أن النصوص قد بالغت قليلاً لتتحدث عن أفراد من المجتمع أكلوا الميتة، وضرب الغلاء كافة أنواع السلع الغذائية وعادت النصوص للمبالغة والحديث عن وفيات يومية قُدرت بعشرة آلاف إنسان وهى مبالغة واضحة لكنها تدلل لنا على وجود أعداد وفيات ضخمة عانى منها المجتمع، وفي ذات السياق الذي تحدث فيه النص عن هذه الأزمة أردف بالحديث عن نشاط مجموعة من اللصوص استغلت هذه الظروف الاقتصادية العاصفة لتمارس نشاطاتها في عمليات السرقة والسلب

والنهب المدفوعة بالآلام الاقتصادية العاصفة التي ضربت المجتمع [xxxvi] ومن المفارقات الغريبة أن النصيب الأكبر من الوفيات الناتجة عن مثل هذه الأزمات كان أيضاً من نصيب الجماعات المهمشة وهو ما ذكرته إحدى النصوص في حوادث سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) قائلة " وفيها اشتد الغلاء بمصر وكثر الوباء وكان يموت في كل يوم ما يحصيه ديوان المواريث نحو العشرة آلاف خارجاً عمن لا يعرف من صعاليك الناس "[xxxvii]

وبالرغم من مبالغة النص فيما ذكره عن أعداد الوفيات إلا أن ما يعنينا هنا هو تصنيف حصيلة الوفيات وتوصيفهم بأنهم من صعاليك الناس مما يدلل عما عانته هذه العناصر من الظروف الاقتصادية وكذا ما عانته أيضاً من إشكالية التأريخ المتعالي لها على صفحات المصادر التاريخية.

ومهما يكن من أمر فقد كانت الظروف الاقتصادية هي العامل الأساسي في انتشار هذه الجماعات وعلينا أن نلاحظ أن هذه الظروف قد دفعت بعض أفراد المجتمع لأن يقوموا بمثل هذه العمليات حتى ولو لم يكن تصنيفهم أساساً بأنهم لصوص ونهابة وقطاع طرق، فهناك أفراد عاديين فقراء أصحاب أحوال رثة اقتصادية واجتماعية دفعهم القحط والغلاء لركوب موجة النهب والاعتداء على مقدرات المجتمع، وهو ما أوضحته لنا أحداث سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٣م) وهو العام الذي وصفته النصوص بأن جميع الأحوال كانت في فتن وشرور وعدم تدبير وانحلال أمر مصر في أشد ما يكون من سوء الحال " وما يستوقفنا هنا هو الجملة التالية بأن " كل من قوى على صاحبه أكله ولا يجد من يشتكى إليه، حتى أن كثير من المساتير نُهبوا وعاد الناس في بيوتهم لا يخرجون إلا لضرورة قادحة لعدم من يشار إليه، هذا مع غلاء الأسعار وعدم الجالب من سائر الأصناف "[xxxviii] في نص واضح الدلالة على مسؤولية الأزمات الاقتصادية في انتشار عامل السلب والنهب في المجتمع المصري في العصر الفاطمي.

على أية حال فقد استمرت الأزمات الاقتصادية تعصف بالمجتمع المصري في العصر الفاطمي لتشجع العناصر الخارجة على العودة لممارسة هذه النشاطات مثل ما حدث سنة (٤٦١ هـ/١٠٦٨م) حيث قلت الأقوات وعظم الفساد والضرر حتى أكل الناس الجيف والميتات ووقفوا في الطريق يخطفون من يمر من الناس فيسلبونه، كما شجعت أحداث هذا العام أيضاً على عمليات الاقتتال الداخلي وقطع الطرقات والنهب وإرهاب المجتمع، حتى أن التجار قد حرقوا الثياب المنسوجة بالذهب ليخلص لهم ما فيها من الذهب، فحرقوا من الثياب والأمتعة الستور والكلل والفرش والمظال والبنود والعماريات [xxxix]

ومن الجدير بالذكر فقد كانت الشدة المستنصرية كرنفالاً لحوادث السلب والنهب والتدمير، فكانت أسوأ أزمة اقتصادية مرت بها مصر في العصر الإسلامي[xl]، فقد عاشت البلاد حالة من الفوضى الشاملة حيث نشط الأشرار وقطاع الطرق وأصبحت السبل وطرق المواصلات البرية والنيلية غير آمنة بسبب تعرض المسافرين لنهب النصوص، وأصبح السير غير مأمون العواقب[xli] واستمراراً من النصوص في عادة الربط بين الأزمات الاقتصادية وعمليات السلب والنهب وكأن المصادر قد اطمأنت إلي أن هذا العامل هو العمدة والمسئول عن هذه العمليات، بل أنها قد نحت في الحديث إلى مناحي أكثر قتامة حيث ذكرت حوادث أكل لحوم البشر في ظل الأزمات الاقتصادية العاصفة وهو ما سنفصل له لاحقاً[xlii] فضلاً عن ممارسات شاذة أخرى مثل هذا الذي استغل الغلاء الشديد الحادث سنة (٤٦٢هـ/١٠٦٩م) ليقوم بنشاط إجرامي غاية في الخطورة حيث شكل خلية لقتل الصبيان ودفن رؤوسهم وأطرافهم وبيع لحومهم[xliii] وقد عبرت إحدى النصوص عن ذلك قائلة " وكاد الخراب يستولي علي سائر الإقليم[xliv] وكذا ما حدث في أحداث سنة (٤٦٥ هـ/١٠٧٢م) حسبما عبرت إحدى النصوص قائلة " ونُهب الريف..... وغلت الأسعار، وكثر الوباء إلي الغاية.... وعظم الغلاء واشتد البلاء"[xlv]فضلاً عن

العناصر الإجرامية التي احترفت أكل لحوم البشر نتيجة الشدة المستنصرية فتربصوا للناس في الأزقة والشوارع ليسدوا صراخ بطونهم بطرق غاية في الإجرام والشذوذ[xlvi] حتى بالغت النصوص في التصوير بأنهم وقفوا بالطرقات فإذا مر بهم أحد ضربوه بالأخشاب وشرحوا لحمه وقتلوه [xlvii] ونعود لنؤكد بأن هذه المبالغات في التصوير لم تكن من فراغ وإنما عبرت عن واقع اجتماعي بالغ السوء مدفوعاً بأحوال اقتصادية عاصفة فسخت المجتمع وأظهرت أسوأ ما فيه.

صفوة القول فقد شكلت العوامل الاقتصادية المحور الأساسي لعمليات السلب والنهب مشكلة البيئة الحاضنة لظهور هذه العناصر وتزايد نشاطاتها إلى حد متطرف إبان فترة الدراسة.

ممارسات عناصر النهب واللصوصية في المجتمع المصري في العصر الفاطمي:

لم تكن هذه العناصر رحيمة بباقي العناصر المجتمعية الأخرى، فقد كانت ممارساتها عاصفة بكافة فئات المجتمع استخدمت فيها وسائل السلب والنهب والتخريب، فضلاً عما أصابت به المجتمع من فزع وإرهاب، وفي الحقيقة فقد كانت الممارسة الأكثر حضوراً هي حوادث قطع الطرقات، فحسب العديد من الروايات أن هذه العناصر شوهدت بشكل شبه دائم تقف في الطرقات وتخطف متاع المارة من الناس، فلم تكن الطرقات آمنة بوجود مثل هذه العناصر، وكان مجرد المرور بها يمثل خطراً على أمن وحياة المارة وذلك في الطرقات البرية والبحرية على حد سواء[xlviii].

ولدينا إحدى النصوص التي حددت لنا مدى ما قامت به هذه العناصر فكان باعة الطعام يبيعونه في ظاهر البلد لا يتجاسرون يدخلون ليلاً لئلا يخطف وينهب منهم، وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميته نهاراً وإنما يدفنه ليلاً لئلا ينبش فيؤكل [xlix] وكان ذلك في مجاعة(٤٦٢هـ /١٠٦٩م) ويبدو أن قضية أكل لحوم البشر رغم

ما نراه من مبالغة شديدة في التأريخ لها كانت قضية ذات حضور كبير في النصوص التاريخية التي رصدت نشاطات هذه العناصر، فإشارات عديدة ذكرت لنا مثل هذا النوع من الحوادث مثل ما ذكره ابن إياس في حوادث سنة (٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م) من وجود طائفة من العوام كانوا يجلسون على السقائف وبأيديهم حبال فيها كلاليب فإذا مر بهم أحد من الناس ألقوا عليه تلك الحبال ونشلوه بالكلاليب في أسرع وقت فإذا جاء عندهم ذبحوه في الحال وأكلوه بعظامه[i].

ومن الغريب أن الرواية السابقة لابن إياس تتشابه كثيراً مع ما سنورده من رواية المقريزي وتكمن الغرابة في أن المقريزي يذكر أحداث هذه الرواية في (٤٦١هـ /١٠٦٨م) أي تقريباً بعد اثنين وستين عاماً عن الحادثة التي ذكرها ابن إياس المتأخر مما يزيد شكوكنا في مثل هذه الحوادث الغير متوافقة مع الطبيعة البشرية.

على أية حال فيعطينا المقريزي تفصيلات عن هذه الممارسات بأنه كان في مصر طوائف من أهل الفساد قد سكنوا بيوتاً قصيرة السقوف قريبة ممن يسعى في الطرقات فأعدوا سلباً وخطاطيف فإذا مر بهم أحد شالوه في أقرب وقت – حسب تعبيره – ثم ضربوه بالأخشاب وشرحوا لحمه وأكلوه، ويروى أن إحدى النساء قد تعرضت لمثل هذا العنف حيث تم خطفها في الشدة المستنصرية وأخذها رجلٌ لأنها كانت سيدة سمينة فأدخلها بيت فيه سكاكين وأثار دماء وأضجعها على وجهها وربط في يدها ورجلها سلباً إلى" أوتاد جديدة عريانة " ثم شرح من أفخاذها وهي تصرخ وتستغيث، ثم بدأ يضرم الفحم ويسوي من لحمها وأكل كثيراً حتى سكر ووقع على جبينه مغشياً عليه فأخذت السيدة في الحركة حتى استطاعت أن تحرر نفسها من الوثاق وخرجت والدماء تتساقط منها وبقيت آثار هذه الجروح في أفخاذها، كحفر عميقة[ii].

ورغم ما تحمله الروايتان من تناقض ومبالغات إلا أنها تعطينا دلالات لا يمكن غض البصر عنها في معالجة هذه القصة، ولدينا إشارات أخرى في هذا

السياق مثل ما حدث سنة (٤٦١ هـ/١٠٦٨م) عندما اشتد الغلاء بمصر وقلت الأقوات حتى أكل الناس الجيف والموتى[lii]. وما ذُكر أيضاً عن هذا الرجل الذي ظهر في غلاء سنة (٤٦٢هـ/١٠٦٩م) يقتل الصبيان ويدفن رؤوسهم وأطرافهم ويبيع لحومهم[liii]

ومهما يكن من أمر فبالإضافة إلى هذه الممارسات التي تقشعر لها الأبدان، فقد تواكبت معها أفعالٌ مشينةٌ مثل اغتصاب النساء [liv] وأخذ الإتاوات من التجار ورواد الأسواق[lv] فضلاً عن كسرهم للدكاكين ونهب ما فيها[lvi] وكذا إشعالهم للحرائق[lvii] وخطفهم لثياب المارة[lviii] مما أدى في كثير من الأحيان لإخلاء الأسواق من كافة المتعاملين بها[lix] .

ومن المثير للسخرية أن ممارسات السلب والنهب لهذه الجماعات قد اتخذت في بعض الأحيان صبغة دينية حيث رصدت المصادر تعرض دور العبادة لمثل هذه الأعمال مثل تعدي هذه العناصر سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م) على ممتلكات كنيسة مريم القنطرة التي هدمها الحاكم بأمر الله حيث اعتدوا على ذخائرها بل ونبشوا الموتى المدفونين بها وحسب النص أنه طرحت عظامهم فأكلت الكلاب لحم من كان قريب العهد منهم وكان بجوار هذه الكنيسة بيعة وكنيسة أخرى امتدت إليها يد النهب[lx]

وكذا ما حث سنة (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) في جبل المقطم حيث كان للنصارى الملكية في ظاهره مقابر ومدافن لمواتهم ففتحوها ونبشوا من كان فيها وأخذوا توابيتهم وطرحوا أعضاءهم وحسب النص أنه كان أمراً فظيعاً لم يُشاهد مثله ولا جرى في السالف شبهه[lxi]

واستمراراً في هذه الحالة الساخرة التي تبرز دور المسوح الدينية في هذه الممارسات ما حدث (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) من بعض هذه الجماعات ولكن هذه المرة اتخذت مسوحاً شيعية ففي عاشوراء من هذا العام تجمعت بعض عناصر العامة من الشيعة وأعلنوا سب الصحابة وقاموا بهدم مقابر رموز أهل السنة الموجودة

هناك[lxii] مما يوضح حضور العامل الديني بامتياز في فكر هؤلاء المهمشين اجتماعياً.

وكيفما كان الأمر فقد أثرت هذه الحوادث على إرهاب المجتمع وإصابة عناصره بالفزع والخوف، وهو ما كان له صدى في المصادر التاريخية التي استخدمت مصطلحات تعكس بجلاء مدي خطورة هذه الحالة، فكلمات تم استخدامها مثل " وأصبح الناس من الفزع والوجل وكثر الرجفات ونهبت البلد[lxiii] وفي حوادث سنة (٤١٤هـ/١٠٢٣م) استُخدمت كلمات مثل " كثر الخوف من الذعار" " وخندق الناس خنادق" على الأزقة والشوارع[lxiv]، وفي سنة (٤١٥هـ/١٠٢٤م) بات الناس على حرس وأصبحوا يترقبون المكروه[lxv]، وفي سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٣م) عاد الناس في بيوتهم لا يخرجون إلا لضرورة قادحة لعدم من يشار إليه[lxvi]، وفي سنة (٤٦١ هـ/١٠٦٨م) خاف الناس من النهب[lxvii]، إلى غير ذلك من المفردات التي عبرت عن حالة الخوف والإرهاب التي عاشها المجتمع حتى أن حالة الهلع هذه دفعت العديد من أفراد المجتمع لعمل السيوف والسكاكين دفاعاً عن أنفسهم أمام هذه العناصر[lxviii].

ويبدوا أن كعب هذه العناصر لم يكن الأعلى دائماً على العناصر المجتمعية فلدينا بعض الإشارات على تمكنهم من قتل العديد من النصوص الذين مارسوا عمليات سرقة فكان يتم قتلهم وطرحم في الطريق مثل ما حدث سنة (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) [lxix] مما يصور لنا مدى ما آل إليه المجتمع من صورة قاتمة كانت هذه العناصر مسؤولة عنها بشكل جوهري.

تعامل السلطة مع عناصر النهب واللصوصية في مصر في العصر الفاطمي:

مثل تعامل السلطة الفاطمية مع الجماعات الهامشية إشكالية كبرى، فالسلطة التي كانت مسئولة عن عقاب هذه الجماعات وتقليم أظافرها كانت في كثير

من الأحيان تلجأ للتعاون معها واستخدامها لأجل مصالحها السياسية، فقد مارست السلطة الفاطمية مع هذه العناصر سياسات متخبطة وغير مستقرة، رغم أن السياق العام للتعامل كان يتمثل في محاصرة هؤلاء الأفراد وعقابهم إلا أن لدينا العديد من النصوص التي تحدثنا عن استخدام رجال السلطة الفاطمية لهذه العناصر وإجراء الأرزاق عليها[lxx] بل وصرحوا لهم في مواقف أخرى بالنهب تحت رعايتهم مثل ما حدث مع فلول الإخشيديين إبان بداية الحكم الفاطمي[lxxi] وكثيراً ما لجأ إليهم خلفاء العصر الفاطمي والتأخر لمواجهة سلطة الوزراء الذين سلبوهم سلطانهم ونفوذهم، ويبدو أن لجوء السلطة لمثل هذه العناصر قد جرأهم على التعدي على البلاط الفاطمي نفسه مثل ما حدث سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م) حيث استفحل أمرهم وقويت شوكتهم وامتدت أيديهم إلى أخذ الذخائر المصونة في قصر الحكم الفاطمي[lxxii] فضلاً عن نصوص أخري صورت لنا حالات سلب ونهب لممتلكات السلطة الحاكمة نتيجة ظروف اقتصادية وصلت لحد الثياب والركوبات[lxxiii]

ورغم هذه التجاوزات الفجة إلا أن ذلك لم يمنع العديد من رجال السلطة في التورط في تحالفات مع هذه العناصر لأجل المصالح السياسية وحتى يكون لهم شوكة مستندة إلى القوة الغاشمة والغير مسئولة لهذه العناصر، فها هو الأمير حسن بن الخليفة الفاطمي الحافظ (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م) يغضب من والده الخليفة لتعينه أخوه حيدرة ولياً للعهد، فلم يعجبه الأمر، فأشعل نيران الفتنة في المجتمع وحسب النصوص أنه قد تحالف مع أوباش الناس ودعا لهم بل ودفعهم لتفتيش القصر لطلب الخليفة وأخيه حيدرة،... وقد عبرت نصوص عدة عن تحالف الأمير حسن مع هذه الجماعات فحسب المقريزي الذى قال " واستظهر الأمير حسن وقام بالأمر وانضم إليه أوباش الناس ودعارهم ففرق فيهم الزرد وسماهم صبيان الزرد وجعلهم خاصته فاحتفوا به وصاروا لا يفارقونه فإن ركبوا أحاطوا به وإن نزل لازموه داره فقامت قيامة الناس منهم...[lxxiv]

وهكذا لم يتورع أحد المحسوبين على البلاط الفاطمي في التحالف مع هذه العناصر ودعمها وتسليحها من أجل الطمع في السلطة ويبدو أن ذلك قد أثر بشكل بالغ في السوء على المجتمع مما حدا بالمقريزي أن يصف ذلك بأن الناس قامت قيامتهم لأجل ذلك في حديث واضح الدلالة عما آلت إليه الأمور من سوء.

على أية حال فلم تكن هذه التحالفات السياسية والدعم لهذه العناصر هو السائد بل كان تقليم أظافر هذه العناصر قابعاً في كثير من الأحيان على رأس جدول أعمال السلطة الفاطمية وفيما يلي سنرصد بعض المواقف الحازمة التي وقفتها السلطة الفاطمية من هذه الجماعات، فلدينا العديد من الإشارات في هذا الإتجاه، ففي سنة (٣٧٨هـ/٩٨٨م) أعطى المعز لدين الله الفاطمي تعليماته بالقبض على جماعة من العيارين الذين يؤذون الناس وأمر بسجنهم[lxxv]

وكذا ما حدث من إجراءات شاملة سنة (٣٨٦هـ/٩٩٦م) في أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمي بعد أعمال سلب ونهب عمت المجتمع فنشط رجال الشرطة في القبض على كافة العناصر التي شاركت في عمليات النهب، بل وشملت العقوبة من يتستر على عناصر النهب ويبدو أن العقوبة كانت شديدة لدرجة ضرب أعناق عشرون رجلاً وجلد ثلاثة وعشرون آخرين، هذا وقد شجعت السلطة أفراد المجتمع على المشاركة في تسليم هذه العناصر فحسب النص أنه قد اشتد الطلب على النهابة فكان الناس يدل بعضهم على بعض..." فضلاً عما قامت به الشرطة من تشهير وتجريس لهذه العناصر على مرأى ومسمع من الناس..."[lxxvi]

ومهما يكن من أمر فقد مثلت فترة حكم الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) نقطة تحول رئيسية في تعامل السلطة مع هذه العناصر، فلم تبخل علينا النصوص بالعديد من التفصيلات التي أوضحت تعامل الداهية السياسي الحاكم بأمر الله مع هذه العناصر المهمشة، فالرجل قد تراوحت سياساته بين الحزم واللين مستخدماً في بعض الأحيان سياسات غير تقليدية كان هدفها

احتواء هذه العناصر وامتصاص طاقتها بدلاً من تركها تصطدم بالمجتمع، وفي أحيان أخرى استخدم سياسات تقليدية عادية تتمثل في العقاب البدني والسجن.

لقد ابتكر الحاكم بعض لهذه الجماعات بعض الممارسات التي تشبه الألعاب الرياضية ففي سنة (٣٥٩هـ/٩٦٩م) رسم لجماعة من الأحداث أن يتقافزوا من موضوع عال في القصر ورسم لكل منهم صلة من المال فكان يكافئ من يستطيع أن يقفز منهم كشكل من أشكال تفريغ طاقاتهم في هذه الأعمال الصاخبة[lxxvii]

وكذا ابتكر ما يشبه ألعاب المصارعة، فحسب إحدى النصوص أن " الرعاع كانوا يتجمعون في الأسواق بين يدي الحاكم بأمر الله فيتصارعون ويتدافعون ويتلاكمون "، ويبدو أن هذه النشاطات لم تكن محمودة العواقب دائماً فقد أفضى ذلك في كثير من الأحيان إلى وقوع اقتتال بين هذه العناصر فتحزبوا أحزاباً حسب مواضعهم الجغرافية حتى إن إحدى الحوادث قد تطورت لحمل السلاح بين فريقين من المتصارعين واقتتلوا قتالاً شديداً وقُتل من الفريقين جماعة كثيرة وبعدها تطور الأمر لهواياتهم القديمة من النهب والسلب، فاستولوا على ثياب المارة الذين شهدوا الاقتتال ونهبوا العديد من المواضع مما أثبت فشل هذه السياسة[lxxviii] ففي كثير من الأحيان حدثت تجاوزات مع بعض رجال السلطة من هذه العناصر فكان يتم خطف عمائمهم جهاراً بالنهار في إجراء له دلالة خاصة بامتهان هذه العناصر لبعض رجال السلطة[lxxix]

ورغم ما سبق فإن ذلك لا يعني بحال أن هذه السياسات كانت هي الوحيدة التي سلكها الحاكم مع هذه العناصر بل كان رجل حازماً في كثير من الأحيان فلم يتورع الرجل عن إعدام الكثير منهم حتى لو لم يتعدى الأمر مجرد السرقة ففي حوادث سنة (٣٨٦هـ/٩٩٦م) وبعد حادثة سرقة كانت حصيلتها أربعمائة عملة توجه المجني عليهم إلى قصر الخليفة الحاكم شاكين له مصائبهم، وبعد إجراءات وتحريات تم القبض على اللصوص وأمر الحاكم بشنقهم[lxxx]

ولدينا إشارات أخرى بشدة الحاكم على هذه العناصر فحسبما ذكرت إحدى النصوص في حوادث سنة (٤٠٥هـ/١٠١٤م) أنه اشتد على الفساق[lxxxi] وزجر السفهاء[lxxxii]، وكذا ما أمر به سنة (٤١٤هـ/١٠٢٤م) من تعليق أحد اللصوص بعد أن فتح دكاناً فضرب وشهر في البلد على جمل، ثم جمع كافة المشتبه بهم في سرقة الدكاكين فضرب قوم منهم واعتقل طائفة منهم، كإجراء قصد به تطهير المجتمع من نشاط هؤلاء اللصوص[lxxxiii]

كما أصدر البلاط مرسوماً يستنكر فيه ممارسات هؤلاء اللصوص والإجراءات المقرر اتخاذها حيالهم[lxxxiv]

ومن المثير للتعجب أن الرجل الذي كان ليناً جداً وحازماً جداً مع هذه العناصر اكتسب كاريزما من نوع خاص لديهم حتى أنهم كانوا أبطال دعوة تأليهه التي ابتدعها الدرزي وهو ما عبرت عنه النصوص حيث قالت " وصارت له دعاة يدعون أوباش الناس"[lxxxv] أو كما عبر آخر أنه لما ظهر الدرزي استجاب له كثير من الرعاع[lxxxvi]، أو كما ذهب ثالث أنه كان يسجد له في الأسواق من الرعاع وغيرهم[lxxxvii]، في حديث يوضح مدى إشكالية العلاقة بين الحاكم وهذه العناصر.

ومهما يكن من أمر فقد استمر نشاط العناصر الهامشية المنحرفة صاخباً في مصر في العصر الفاطمي واستمرت أيضاً مواجهة السلطة لهم بأشد أنواع المواجهات ففي سنة (٤١٥هـ/١٠٢٤م) إبان حكم الخليفة الظاهر بأمر الله (٥٤٤-٥٤٩هـ/١١٤٩-١١٥٤م) قبضت الشرطة على بعض عناصر النهابة وتم ضرب رقابهم وإلقاء جثثهم إلى الكلاب على باب زويله وباب الفتوح وسوق السلاح[lxxxviii] كشكل من أشكال التطرف في العقاب فضلاً عن الرسائل التي كان يتم إرسالها من خلال هذه الإجراءات إلى باقي عناصر السلب والنهب الكامنة في المجتمع.

ولم تنقطع لدينا الإشارات بعد ذلك من العقوبات التي مورست ضد هذه العناصر مثل ما حدث سنة (٤٦١هـ/١٠٦٨م) حيث ضربت عنق أحد العناصر

الإجرامية التي خطفت سيدة إبان حكم المستنصر[lxxxix]، وكذا ما قام به الوزير المأمون البطائحي إبان حكم الآمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١١٠-١١٣٠م) والذي قام بإجراءات ذات خصوصية حيث أخذ بزرع عناصر جاسوسية على هذه الجماعات لرصد أي تحرك لهم[xc].

صفوة القول فقد شكل تعامل السلطة الفاطمية مع عناصر النهب واللصوصية عاملاً هاماً من عوامل التحكم في تحركات هذه العناصر حيث تباينت علاقة السلطة بها على اختلاف الظروف التاريخية، والخلفاء الفاطميين من حيث اتجاهاتهم الفكرية أو موازناتهم السياسية، فتوزعت تلك العلاقات بين التعاون مع هذه العناصر ومنح المساحات لهم، أو المنع واتخاذ الإجراءات اللازمة لإيقاف نشاط هذه الجماعات، ولكن الحقيقة التي لا مراء فيها أن أحداً من هؤلاء الحكام لم يتفهم أبداً طريقة العلاج الأساسية لنشاطات هذه العناصر التي ظهرت نتيجة إختلالات وفروقات اجتماعية وأزمات اقتصادية وصراعات سياسية، فكانوا مجرد تروس تدور رغماً عنها في صراعات المجتمع في حين لم تعمل السلطة على تضيق الفوارق الاجتماعية والنظر لهم إبان الأزمات الاقتصادية، فتكاتفت ظروف الاقتصاد والمجتمع وتعامل السلطة لتنتج لنا هذه العناصر الهامشية المنحرفة التي ملأت العصر الفاطمي سلباً ونهباً وإجراماً.

الحواشـــــي:

(١) غوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١، ص ٢٨ والتي تليها ؛ محمد فياض: التشيع الشعبى في العراق، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠١٣.

(1) سيد عشماوي: الجماعات الهامشية المنحرفة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٧.

(1) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار التحرير للطباعة والنشر عن طبعة بولاق، ١٢٧٠ هـ، ج١، ص ٢٣٧ ؛ أحمد عبد الرازق عبد العزيز: الفقراء في القاهرة في القرنين السادس والسابع الهجريين – الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠١١، ص ٤٣ والتى تليها.

(1) المسبحي: أخبار مصر في سنتين، تحقيق: وليم ج ميلورد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠، ص٣٨ ؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د.ت، ج٥، ص ٥٩.

(1) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس – لبنان، ١٩٩٠، ص ٣٣٨ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: أحمد بن شعبان أحمد وزميله، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، ج١٢، ص٩.

(1) ابن أيبك: كنز الدرر وجامع الغرر، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الألمانى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٦١، ج٦، ص ٣٧١.

(1) المقريزي: الخطط، ص ٣٠

(1) السجلات المستنصرية، سجل رقم ٥٦، ص ١٨٤ والتي تليها.

(1) ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمى الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د.ت،، ص ٥٣.

(1) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٦٣٢.

(1) ابن الطوير: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، فرانتش شتايز شتوتغارت، بيروت، ١٩٩٢، ص ٤٤ ؛ المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٣١٩.

(1) المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ت، ج٢، ص ٢٧٨ والتي تليها.

(1) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٦٣٣ ؛ ج٢، ص ١٠٧.

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ص ٣٠٨.

(1) المسبحي: أخبار مصر في سنتين، ص ٢٣.

(1) المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٣١٧؛ أحمد عبد الرازق: الفقراء في القاهرة، ص ١٣٧.

(1) لمقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٠٥.

(1) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٧٠ ؛ الخطط، ج٣، ص ١٦.

(1) المسبحي: أخبار مصر في سنتين، ص ٦١.

(1) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ١٨٣.

(1) عندما جاء المعز الى مصر وقسم العطاء بين الناس سأل البعض المز أن يعطيهم عطاء فقيل لهم فرغ ما كان حاضراً ولم يبق شيء فقالوا " رحنا في الباطل " فسموا الباطلية وعرفت الحارة بإسمهم. انظر. ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٤٦، أو حسب نص آخر أنهم قالوا الحق باطل فسموا الباطلية. انظر. ابن أيبك: كنز الدرر، ج٦، ص ١٤٠ وعن الباطلية أيضاً راجع ناصر خسرو: سفرنامة، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٠٩.

(1) ابن أيبك: كنز الدرر، ج٦، ص ١٤١.

(1) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٤، ص١٨:١٦؛ أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، دار التضامن للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨، ص ٦٧.

(1) أحمد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٠٥.

(1) المقريزي: الخطط، ج٣، ص١٦٣ والتى تليها ؛ أحمد عبد الرازق: الفقراء في القاهرة، ص ٤٣ والتى تليها.

(1) المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٩٣ ؛

Yacov Lev: Army ,Regime, and Society in Fatimid Egypt, 358-487/ 968 – 1094,International Journal of Middle east Studies, Cambridge University Press, Vol. 19, No. 3,Aug, 1987, p. 354.

(1) المقريزى: اتعاظ، ج٢، ص ٢٩٧ ؛ الخطط، ج١، ص ٦٣٣.

(1) ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢، ج١، ص٢.

(1) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٦٣٣.

(1) المسبحى: أخبار مصر في سنتين، ص ٦١.

(1) المقريزى: إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: كرم حلمي فرحات، دار عين، القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠٠٧، ص ٨٩.

(1) المسبحى: أخبار مصر في سنتين، ص ٦٠٧ ؛ عبد المنعم سلطان: الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الفاطمي، دار الثقافة العلمية، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٧٤.

(1) المسبحى: أخبار مصر في سنتين، ص ٦١.

(1) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٣٠.

(1) المقريزى: اتعاظ، ج٢، ص ١٧٠.

(1) ابن تغري بردى: النجوم، ج ٥، ص ٥٩؛ أحمد السيد الصاوى: مجاعات مصر الفاطمية، ص ٦٤، وكذا راجع ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩٢، ج ١٦، ص ٥.

(1) ابن أيبك: كنز الدرر، ج ٦، ص ٣٧١.

(1) ابن أيبك: كنز الدرر، ج٦، ص ٣٨٠.

(1) المقريزى: اتعاظ، ج٢، ص ٢٧٩.

(1) أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية تفسير جديد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٢٠٤.

(1) المقريزى: اتعاظ، ج٢، ص ٧٨ والتى تليها ؛ أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية، ص١٠٥.

(1) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٢٩٧.

(1) ابن الجوزي: المنتظم، ص ١١٨ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢، ص ٨٥ والتى تليها. ويعبر ابن الجوزي عن هذا الخلل قائلاً " وأكلت البهائم فلم يبق إلا ثلاثة أفراس لصاحب مصر بعد ألوف من الكراع، وماتت الفيلة، وبيع الكلب بخمس دنانير، وأوقية زيت بدينار، واللوز والسكر بوزن الدرهم، والبيضة بعشرة قراريط، والراوية الماء بدينار لغسل الثياب. انظر ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٦، ص ١١٨.

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣١، تحقيق: د/ عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤، ص ٨.

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣١، ص ٢٠.

(1) ابن دقماق: الانتصار المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د.ت ، ج٤، ص ١٦ والتى تليها ؛ أحمد السيد الصاوي:مجاعات مصر الفاطمية، ص ٦٧.

(1) المقريزي: الخطط، ج، ص ٦٣٣ ؛ اتعاظ، ج٢، ص ٢٩٧.

(١) الـذهبي: تـاريخ الإسـلام، ج ٣١، ص ٢٠ ؛ المقريـزي: الخطـط، ج١، ص ٦٣٣ ؛ اتعـاظ الحنفـا، ج٢، ص ٢٧٩ والتـى تليهـا ؛ ج٢، ٢٩٧ ؛ ابـن دقمـاق: الانتصار، ج٤، ص ١٦ : ١٨ ؛ ابـن ايـاس بـدائع الزهـور، ج ١، ص ٢١٧ ؛ أحمـد السـيد الـصاوي: مجاعـات مـصر الفاطمية، ص ٦٧، ص ١٠٥.

(١) ابن كثير: ج١٢، ص ٨٦.

(١) ابن اياس: بدائع، ج١، ص ٢١٧.

(١) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٦٣٣ والتى تليها ؛ اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٢٩٧ ؛ أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية، ص ٦٧.

(١) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٢٧٩.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ٨٦.

(1) *Jerel. Bacharach: African Military in the Medieval Middle East: The Cases of Iraq (869 – 955) and Egypt (868 – 1171) , International Journal of Middle east Studies , Cambridge University Press , Vol, 13 ,* No. 4 ,Nov, 1981 , p. 481.

(١) المسبحى: أخبار مصر، ص ٦ ؛ محمد غنيم محمد الصياد: الطواف الحرفية ودورها في الحياة العامة في مصر الاسلامية في عصر الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٦، ص ٣٣٧ ؛

Bacharach: African Military in the Medieval Middle East , p. 482.

(١) ابن أيبك: كنز الدرر، ج٦، ص ٢٩٨.

(١) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٠٥.

(١) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٠٢ ؛ المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٢٧٩.

(١) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٠٢ ؛ محمد الصياد: الطواف الحرفية، ص ٣٧٤.

(١) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٧٩.

(١) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٨٢ والتى تليها.

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص ٦٥.

(١) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي، ص ١٣١.

(١) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٣٠.

(١) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٧٠.

(١) ابن أيبك: كنز الدرر، ج٦، ص ٣٨٠.

(١) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٢٨٠.

(١) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٩٣.

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٦، ص ٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٠، ص ٢٥؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٥، ص ٥٩؛ أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية، ص ٦٤.

(١) المقريزي: اتعاظ، ج، ص ٢٤٠ ؛ ابن أيبك: كنز الدرر، ج٦، ص ١٤١.

(١) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي، ص ١٣١.

(١) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٠٧.

(1) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٦، ص ١١٨ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣١، ص ٨.

(١) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٣١٧ ؛ وكذا راجع. أحمد عبد الرازق: الفقراء في القاهرة، ص ١٣٧ ؛ لدينا بعض الإشارات أيضاً إلي استخدام أسد الدين شيركوه هذه العناصر عن دخوله القاهرة حيث أمرهم بنهب دار الوزير شاور وذلك عام (٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م). انظر. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ج ١٠، ص ١٥.

(١) المقريزي: اتعاظ، ج١، ص ٢٠٨.

(١) المقريزي: الخطط، ج٣، ص ١٥ والتى تليها.

(١) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٥٥.

(١) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٥١.

(١) ابن سعيد: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٥٨.

(١) ابن اياس: بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٠٢ والتى تليها، ولدينا بعض الإشارات التي أوردتها إحدى النصوص الإسماعيلية عن شدة الحاكم في مواجهة مثل هذه الأمور فيقول الداعي إدريس " أنه أفنى المفسدين " انظر. الداعي إدريس عماد الدين: عيون الأخبار وفنون الآثار، السبع السادس، أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: مصطفي غالب، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤، ص ٢٥٠.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص ٣٠٨.

(١) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٠٥.

(١) المسبحى: أخبار مصر، ص ٣٨، يذكر ناصر خسرو معلقاً على الحالة الأمنية في مصر إبان عصر الحاكم " وبلغ أمن المصريين واطمئنانهم إلى حكومتهم إلي حد أن البزازين وتجار الجواهر والصيارفة لا يغلقون أبواب دكاكينهم بل يسدلون عليها الستائر ولم يكن أحد يجرؤ على مد يده إلي شيء منها. انظر. ناصر خسرو: سفرنامة، ص ١٢٤.

(١) أصدرت الدولة في بعض الأحيان مناشير تحدد سياستها مع هذه العناصر مثل هذا المنشور الذى صدر عام (٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م) وأنه انتهى إلى الحضرة حال جماعة من أوغاد الأرياف، وأوباش الأطراف يأتون العظائم ويرتكبون الجرائم ويحتقبون المآثم وينتسبون إلى خيرة القبائل وبررة الأماثل الذين ميزهم الله في دولتنا بالسوابق، والصالحات، وحماهم بعصمة طاعتنا عن البوائق المحرمات للاحتماء بهم، والالتجاء إليهم متى وقع من الولاة جد في طلبهم وأن هؤلاء الرعاء بجناتهم الفارطة وأحكامهم القاسطة لا يزالون يدخلون على أنفسهم ضرراً بما يصدر من القبائح عنهم ويبرزون بأفعالهم الذميمة فساداً ومنكراً يؤدي إلى قتل من يقتل منهم فيجد بمستقطع أحداثهم السفهاء في الباطل مصالاً والجهلاء في التوصل إلى إشارة الفتنة مجالاً ويزداد الغواة زيغاً وعناداً عن أمر الله تبارك وتعالى، ويترامى بهم الداء إلى حطه توقع التنافر والتشاجر وتحدث التضاغن والتناكر، فأنكر أمير المؤمنين ذلك إنكار مثله من الأمور التي تكسب سوء الافتراق وتولد الاختلاف بعد الائتلاف. انظر. المسبحى: أخبار مصر، ص ٢٣.

(١) في سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٧ م حضر الى مصر وفد من الدعاة الفرس يضم الحسن بن حيدرة الفرغانى الأخرم وحمزة اللباد و محمد بن اسماعيل أنوشتكين الدرزى و أعلنوا تأليه الحاكم ، وكان هذا أساس المذهب الدرزى. راجع ابن تغري بردي: النجوم، ج٤، ص ١٨٣.

(١) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي، ص ٣٣٨.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢٢، ص ٩.

(١) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٧٠.

(١) المقريزي: اتعاظ، ج ٢، ص ٢٩٧ ؛ الخطط، ج ١، ٦٣١.

(١) ابن ميسر: المنتقي، ص ١٠٤.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المطبوعة

- ابن الأثير " أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، ت (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢ م)

الكامل في التاريخ، تصحيح د/ محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت، سنوات الطباعة ١٩٨٧، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣.

- الأنطاكي " يحيى بن سعيد الأنطاكي " ت (٤٥٨ هـ / ١٠٦٧ م)

تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس – لبنان، ١٩٩٠.

- ابن الجوزي " أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي" ت (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠ م)

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

- ادريس " الداعي ادريس عماد الدين القرشي " ت (٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م)

عيون الأخبار وفنون الآثار، السبع السادس، أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: د. مصطفي غالب، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.

- الذهبي" شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان " ت (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧ م)

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د/ عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت والتي صدرت من ١٩٩٠، ٢٠٠٠.

- السجلات المستنصرية.

سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلي دعاة اليمن وغيرهم قدس الله أرواح جميع المؤمنين، تحقيق: د. عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤.

- السيوطي " جلال الدين " ت (٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)

تاريخ الخلفاء، تعليق: جمال محمود مصطفي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

- ابن الطوير " أبو محمد المرتضى عبد السلام " ت (٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م)

نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، أعاد بناءه وحققه: د/ أيمن فؤاد سيد، فرانتس شتايز شتوتغارات، بيروت، ١٩٩٢.

- ابن العماد " شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد الدمشقي" ت (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨ م)

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

- المسبحي " محمد بن عبيد الله " ت (٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م)
أخبار مصر في سنتين، تحقيق: وليم ج ميلورد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة . ١٩٨٠.

- المقريزي " تقي الدين أحمد بن علي" ت (٨٤٥هـ/ ١٤٤١ م)
اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطمين الخلفا، تحقيق: د/ جمال الدين الشيال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د. ت.
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار تقديم: د/ محمد مصطفي زيادة، دار التحرير عن طبعة بولاق، ١٢٧٠هـ.
إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: د/ كرم حلمى فرحات، دار عين، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ .

- النويري" شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب" ت (٧٣٣هـ/ ١٣٣٢ م)
نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبدالمجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

- ابن اياس " محمد بن أحمد " ت (٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م)
بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢.

- ابن أيبك " أبو بكر بن عبدالله، ت (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م)
كنز الدرر وجامع الغرر، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، المعهد الألمانى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٦١ م.

- ابن تغري بردي " جمال الدين أبي المحاسن يوسف " ت (٨٧٤هـ/ ١٤٦٩ م)
النجوم الزاهرة في ملوكِ مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت.

- خسرو " ناصر خسرو علوي " ت (٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م)
سفرنامة، ترجمة د: يحيى الخشاب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.

- ابن دقماق " إبراهيم بن محمد بن إيدمر العلائي" ت (٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)
الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

- ابن سعيد " أبو الحسن علي بن موسي " ت (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)
النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب، تحقيق: د. حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠.

- ابن كثير " عماد الدين أبي الفداء إسماعيل" ت (٧٧٤هـ/ ١٣٧٢ م)

البداية والنهاية، تحقيق: أحمد بن شعبان أحمد وزميله، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣.

- ابن ميسر " تاج الدين محمد بن على بن يوسف " ت (٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م)

المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمى للآثار الشرقية، القاهرة، د.ت.

ثانيا: المراجع العربية :

- إسماعيل" محمود" (دكتور)

المهمشون في التاريخ الإسلامي، دار رؤية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

المهمشون في التاريخ المصري، دار رؤية، القاهرة، ٢٠٠٩.

- الصاوي " أحمد السيد " (دكتور)

مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، دار التضامن للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨.

- سلطان " عبد المنعم عبد الحميد " (دكتور)

الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الفاطمي، دار الثقافة العلمية، القاهرة، ١٩٩٩.

- سيد " أيمن فؤاد " (دكتور)

الدولة الفاطمية في مصر " تفسير جديد " الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧.

- عشماوي " سيد " (دكتور)

الجماعات الهامشية المنحرفة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥.

- ماجد " عبد المنعم " (دكتور)

الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د.ت.

ثالثا: المراجع المترجمة:

- لوبون " غوستاف"

سيكولوجية الجماهير، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١.

رابعاً: الرسائل الجامعية:

- النمكي " رشا فؤاد "
الذعر والحرافيش في مصر في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، د.ت.
- الصياد " محمد غنيم محمد عطية "
الطوائف الحرفية في عصر الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة الزقازيق، ٢٠٠٦.
- عبد العزيز " أحمد عبد الرازق "
الفقراء في القاهرة في القرنين السادس والسابع الهجريين – الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الزقازيق، ٢٠١١.

خامساً: المراجع الأجنبية:

- *Yacov Lev: Army ,Regime, and Society in Fatimid Egypt, 358-487/ 968 – 1094, International Journal of Middle east Studies, Cambridge University Press , Vol. 19 , No. 3 ,Aug , 1987.*
- *jere l. Bacharach: African Military in the Medieval Middle East: The Cases of Iraq (869 – 955) and Egypt (868 – 1171), International Journal of Middle east Studies , Cambridge University Press, Vol, 13 , No. 4 ,Nov, 1981.*